

في فجوة التنظير الإعلامي العربي الواقع، الرهانات وضرورة التجديد

حفصة كويبي
مستغانم، الجزائر

مقدمة :

ما يميز علوم الاعلام والاتصال منذ نشأتها إلى يومنا هذا هو تعدد الرؤى النظرية وتباين أسبابها وتداعياتها لدى الدارسين والباحثين والممارسين الاعلاميين والجمهور المتلقين، في هذا الميدان المتشعب، وهذا ما يمكن الاصطلاح عليه بـ "فجوة العقل الاعلامي"، وتتجلى هذه الفجوة في ثلاثة مجالات رئيسية:¹

أولاً- تعددية الرؤى الفلسفية والنظرية في هذا الحقل المعرفي المهم.
ثانياً- تنوع الممارسات المهنية في وسائل الإعلام المقروء والمرئي والمسموع.
ثالثاً- طبيعة الجمهور المتلقي، والتي تزخر بكثير من التباينات الاقتصادية والثقافية والديموغرافية، علاوة على تعدد مستويات الوعي السياسي والاجتماعي.
وما يهمننا في هذه الورقة هو العنصر الأول، فما يميز الساحة الاعلامية الغربية هو تعدد الرؤى النظرية والتيارات المنهجية التي تناولت الظاهرة الاعلامية والاتصالية بالدراسة والتحليل والتفسير في طريق البحث عن نظرية شاملة تفسر هذا النوع من الظواهر الشديدة التعقيد والتداخل بين مختلف الظواهر الاخرى التقنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها من الأسباب الكثيرة شكلت نتيجة واحدة هي "ازمة الاعلام والاتصال" كحقل معرفي مستقل بذاته.

وإن كانت هذه وضعية الساحة الغربية المنقسمة بين الأوروبية والامريكية فإن الساحة العربية ليست بأفضل حال منها، فهي الأخرى تشكوا فقرا موضوعيا وعجزا منهجيا، في الوقت الذي تتأكد فيه حتمية الأدوار التي أصبحت تلعبها وسائل الاعلام والاتصال في المجتمعات المعاصرة، وتتأكد فيه حتمية التجديد والتأصيل المعرفي، غير أنه "لا يمكن الحديث هذا التأصيل" دون التعرض لبعض القضايا ذات الصلة بجوهر هذا العلم ووقائعه، وهذه القضايا تمثل في حقيقتها الملامح المميزة لعلم الاتصال نفسه، كما أنها تشكل العوامل الكابحة لعجلة الاجتهاد وفي حركة التأصيل لهذا العلم " ²

وتتركز إشكالية الدراسة في الأسئلة التالية :

- ✓ ما هي الأسباب التي شكلت الأزمة الغربية في الاعلام والاتصال؟
- ✓ ما هي وضعية هذا الحقل المعرفي في الوطن العربي ز في الجزائر؟

✓ كيف يمكن التمييز بين الدراسات الإعلامية والاتصالية في المنطقة العربية؟

1- أزمة الإعلام والاتصال : أزمة عالمية / غربية

1-1- في مظاهر الأزمة

وتتجلى مظاهر أزمات علوم الاعلام والاتصال في :

1- إشكالية التسمية /المصطلح: علوم الاعلام والاتصال sciences de l'information et de la communication هي عبارة فرنسية للتدليل على مجموعة البحوث والدراسات في الإعلام والاتصال، التي تدرج مواد تدريسها والبحث فيها اختصاصات شتى في حقل ما يسمى بعلوم الاعلام والاتصال (كسيولوجيا، وأنثروبولوجيا، قانون واقتصاد، الخ...)، أما حسب التعبير الأنجلوسكسوني فجدت تعبير "الدراسات الإعلامية أو Media studies.

كما تميل الكثير من المؤسسات الأكاديمية خاصة الانجلوساكسونية إلى التمييز بين الدراسات الاتصالية والدراسات الاعلامية، اما في الفضاء الفرنكفوني فعلى الرغم من تأثر الفرنسيين بالعقلانية الديكارتية والوضعية الكونتية، والذي كان من المفترض أن يدفع بهم إلى انتاج تنظيم اكايمي يفصل بين الدراسات الاتصالية والدراسات الاعلامية كما حصل ذلك في تمييزهم بين العلوم الدقيقة والعلوم الاجتماعية والانسانية، فقد تم مزج الحقلين تحت مسمى علوم الاعلام والاتصال، مع ما صاحب ذلك من جدل أكاديمي مازال قائما إلى اليوم فقد أشار "جون ميريا ""JEAN Meyriat "عندما تم انشاء لجنة علوم الاعلام والاتصال في شهر فبراير 1975 إلى انه " تم تبني كلمة "اعلام" الاكثر تحديدا تضيي نوعا من الدقة على فكرة الاتصال التي تظل مبهمه ويسمح هذا التزاوج بخدمة مجموعات كبيرة من المتخصصين، ذوي الاهتمامات المختلفة، دون اتخاذ موقف نهائي حول ابستمولوجيا هذا الحقل.³

2 – إشكالية البناء النظري في البحوث والدراسات الاعلامية والاتصالية

فإذا كان مفهوم الاتصال يطرح إشكاليات كثيرة على الباحث فإن نظرية الاتصال ليست أقل إشكالية منه، فقد انتجت الكثير من التعارضات بين الباحثين في الحقل الاتصالي.⁴

والنظرية من حيث التعريف، هي محاولة ذهنية لتفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية وتقديم الشروحات والتفسيرات لها، وتنظيم الملاحظات وعرضها بطريقة مناسبة... والنظرية تحتاج في حكمها على الأشياء إلى برهان ولها قضية مرتبطة بسلسلة من النتائج التي نتحقق من صحتها من خلال التطبيق، والتطبيق يفرز استجابات اجتماعية منسجمة أو متضاربة.⁵

وقد شكل الحضور الكبير لمختلف التخصصات في حقل الاعلام والاتصال اشكالية شرعية هذه العلوم "القائمة بذاتها" وهو ما ادى إلى "البحث عن نماذج تضيء عليه الطابع العلمي، حيث تبنى رؤى علوم الطبيعة، وقام بتكييفها مع خصوصيته الأكاديمية"⁶

و بالرغم من التحول التدريجي الذي تشهده اليوم والمتمثل في اعتماد مجال الوساطة كمعلم بحثي دينامي مكيف لتأسيس المعرفة بدرجة أولى فان الدراسات الاعلامية غالبا ما تعود إلى الانسجام مع المنظور اللاسوالي المغال للدور الفعال الذي تلعبه الوسائل الوسيطة الناقلة للمضامين لتجعل منه منطلقا للكشف عن طبيعة العلاقة بين الباث والمستقبل، ويتجلى ذلك من خلال المرتبة التي تحتلها التقنيات الحديثة باعتبار كونها مصدرا يلهم الاساليب الجديدة في إنتاج المضامين الثقافية.⁷

و يرجع هذا الغياب إلى استناد البحث العلمي على الأبعاد المعيارية فقط، واتجاهه إلى القياس وفقا لمعطيات الواقع الآني الذي يجري فيه القياس، الأمر الذي سبب هشاشة في البناء النظري لعلم الاتصال (كما سنرى لاحقا).

"ولما كان الاتصال ينتمي إلى مجموعة العلوم الإنسانية، فان نظرياته كما هو معرف ليست بالحدة أو الصرامة الموجودة في نظريات العلوم البحتة أو الطبيعية شأنه شأن العلوم الإنسانية عموما، وعلى الرغم من كثرة الأبحاث الخاصة بعملية الاتصال، فان هذه الأبحاث -فشلت بصورة أو بأخرى- في بناء النظريات التي تنظم الجهود البحثية وتحدد الطريق إلى الجهود البحثية المستقبلية، بل هناك اتفاقا بين الباحثين على أن المشكلة الرئيسية في مجال الاتصال الجماهيري تتمثل في نقص النظريات الجيدة"⁸

يؤكد "جريك" أن الاتجاهات الجديدة في مجال نظرية الاعلام والاتصال توحى بتناقض ظاهر، ويشرح ذلك بقوله: "انه على الرغم من ان علم الاعلام والاتصال تطور وبلغ مرحلة تقرب من النضج، وان الباحثين فيه أسهموا في بناء ملامح نظريات جديدة في السنوات المتأخرة، فان ثمة تزايدا ملحوظا في الغموض الذي يكتنف دراسات هؤلاء الباحثين يتمثل في التناقض في الآراء والجدل الظاهر فيما يتعلق بالبناء المعرفي المناسب للنظرية الإعلامية والاتصالية."⁹

ان هذا الحقل الأكاديمي لا يزال "قلقا"- بتعبير المتخصصين فيه" ويحتاج الآن أكثر من أي وقت مض إلى "إعادة التفكير". وهذا ما حدا بالباحث جريك إلى طرح تساؤلات لا تزال معلقة وتبحث عن إجابة لها من قبل المتخصصين مثل¹⁰:

- ما الذي ينبغي ان تكون عليه النظرية الإعلامية والاتصالية؟
- لماذا كانت الحاجة إلى بناء نظرية في الاعلام والاتصال؟
- ما الحدود النظرية لمثل هذه النظرية؟
- ما الكيفية التي ينبغي أن تكون عليها بحوث الاعلام والاتصال؟

- كيف نربط مثل هذه البحوث بتطور النظرية في الاعلام والاتصال؟
أن كل هذه التساؤلات على حد تعبير جريك، لا بد أن يأخذها المتخصصون في حقل الاعلام والاتصال بعين الاعتبار.
و ذكر الباحثون خمسة من الاسئلة التي تشكل اليوم محور النقاش بينهم، ويحاولون الإجابة عنها، وهي¹¹:

- 1- هل يمكن التحدث عن "نظرية عامة للإعلام والاتصال"؟
- 2- هل التفريق ما بين الاعلام والاتصال ما زال قائماً؟
- 3- هل اصبح "مجتمع الاعلام" أو "مجتمع الاتصال" أفق حياتنا اليومية؟
- 4- هل تنتمي الظواهر الاعلامية والاتصالية إلى مجموعة من الحقول أو يجب معالجتها في مجال وسيط؟
- 5- هل يولد تقدم المعلوماتية والعلوم المعرفية تغيرات أفقية في مجال الإعلام والاتصال؟

لقد وصلت الدراسات والبحوث الغربية في مجال العلوم الاجتماعية والانسانية ومنها علوم الاعلام والاتصال إلى أزمات "ظهرت من خلال تشعب نظريات الغرب وتفسيراته المتعددة للظواهر الاجتماعية والنفسية وتذبذب هذه الرؤية وقصورها في تقديم تفسيرات دائمة وكلية".¹²

كما ان "انفتاح أبحاث علوم الاعلام والاتصال على نفسها، دون تحديد زاوية لرؤية واضحة المرجعية والأهداف والوسائل، جعلها تعيش أزمة فعلية نتيجة التطور المذهل في الوسيلة واستخداماتها- في غياب التنظير المسبق من جهة، ولتصادم التصورات الغربية والحقيقة الكبرى من جهة أخرى، إذ حولت الفرد والمجتمع إلى مشروع منظم وموجه، وتحول واقع وممارسة الاعلاميين إلى مؤطر وموجه ومنظر، وتحول واقع وأثر الممارسة الاعلامية والاتصالية إلى مجال الدراسة وبحث الظاهرة الاعلامية، وغاب فيها التحديد الصحيح لمجال العلم والمعرفة".¹³

1-2- في أسباب الأزمة:

يتميز الحقل الاعلامي والاتصال بمجموعة من المميزات التي هي ذاتها سببا في الإشكاليات والأزمات التي اعترضت وما زالت تعرض هذا الحقل العلمي وفي مقدمتها:

1- حداثة نشأة علم الاتصال مقارنة بالعلوم الاجتماعية:

لم ير هذا العلم النور إلا في مطلع القرن الماضي وبالتحديد في الربع الاول من القرن العشرين، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، و تاريخيا نجد أن الممارسة الاعلامية سبقت تأسيس علم الاعلام والاتصال وبدأ ميدان الاعلام يجد سبيله إلى المحيط الاكاديمي في أواخر القرن التاسع عشر بأمريكا، ويعتبر "روبرت لي" أول

من اقترح تكويننا جامعيًا يخص الاعلاميين وكان ذلك سنة 1869، عندما كان هذا الاخير رئيس جامعة واشنطن، وأخذ العلم مكانته في إطار العلوم الاجتماعية إثر الحرب العالمية الاولى، ثم تأسس بشكل أساسي بعد الحرب العالمية الثانية، فالآن فإن عدد الجامعات التي تقدم تخصص الاعلام JOURNALISME ; Mass Media بأمریکا بالمئات.¹⁴

2- التبدل المستمر في أساليب وأشكال الفعل الاتصالي: وذلك لاستناده على وسائل سريعة التغير والتطور، بحيث لا تكاد أن تستكمل الوسيلة دورة الزمان حتى تستبدلها وتحل محلها وسيلة أكثر قدرة، نتيجة للتطورات السريعة والمتلاحقة لتكنولوجيات الاعلام والاتصال، فهذه التطورات تمثل اشكالا لدى الباحثين والدارسين والمتمثل في رهان المواكبة واللاحاق بها، و" من أجل تفعيل حركة للتنظير قادرة على تفسير الفعل في ظل هذا التغير الدائم، ومن ثم فإن الفكر الاتصالي يظل يلهث وراء حركة الاختراع التي أصبحت في حالتها الاخيرة تولد من الوسيلة وسيلة جديدة"" وقد شكل هذا الواقع للفكر الاتصالي معضلة حقيقية، صعبت فيها واستحالت مواكبة الفكر للفعل، وهذه المعضلة عينها هي التي تجعل أمر التأصيل أكثر صعوبة "¹⁵.
وقد جمع -"بيرجر Berger أسباب أزمة علوم الاعلام والاتصال في ثلاث محاور¹⁶ هي:

- **المحور التاريخي:** إن جذور هذا العلم ترجع إلى الأدبيات النظرية للعلوم الأخرى ذات العلاقة بعلم الاعلام والاتصال، الذي كان بمثابة " جسر أكاديمي " إلى العلوم الأخرى بدليل أن كل الباحثين الذين اسهموا في إعداد الكتاب المشهور " علم الاتصال الانساني " الذي حرره "ولبر شرام" وعددهم أحد عشر باحثا- لم يكن منهم من هو متخصص في الاعلام والاتصال أو في بحوث الاتصال، وإنما باحثين في علوم أخرى كالعلوم السياسية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع.
وقد شهدت بحوث الاعلام والاتصال في النصف الثاني من القرن العشرين تطورات ملحوظة نظرا لعدة عوامل في مقدمتها :

- التطورات الحاصلة في وسائل الاعلام وانتشارها السريع في جميع أرجاء العالم.
- التطورات الحاصلة في مهنة الصحافة وحاجة المجتمع لوسائل الاعلام نظرا للوظائف التي أصبحت تقوم بها: الاخبار، التعليم، الترفيه، التنشئة الاجتماعية.
- هذا بالإضافة إلى التطورات الحاصلة في العلوم الانسانية والاجتماعية بصفة عامة نظرا لارتباط حقل الاعلام والاتصال بمختلف العلوم المجاورة وفي مقدمتها الاجتماع والسياسة والنفس.
- زيادة الجامعات والمدارس والمعاهد التي تدرس الاعلام والاتصال.

فكل هذه العوامل المتداخلة فيما بينها أدت إلى تطوير بحوث ودراسات الإعلام والاتصال، والملاحظ أن هذا الحقل تطور وفق شروط وظروف اقتضتها الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمعرفية التي كانت تحيط بالباحث، ولهذا نلاحظ تركيز هذه البحوث والدراسات على مواضيع دون غيرها، كما هو مبين في كرونولوجيا التطور كالاتي :

- البدايات الاولى: تميزت ابحاث الاتصال في بداياتها بالتركيز على الدراسات الوصفية التاريخية للطباعة والنشر والصحف والدوريات مع التركيز على بعض تراجم المحررين والناشرين وخاصة في الفترة 1800-1930.

- أما الفترة الثانية : فقد سادت تقريبا في الفترة ما بين 1930-1950، فقد تميزت بتنوع المواضيع والتأثير الواضح لعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية في أبحاث الاعلام والاتصال الجماهيري (الدراسات التاريخية التحليلية للمؤسسات الاعلامية، البحوث حول تأثير وسائل الاتصال الجماهيري، الدراسات التاريخية التحليلية للمؤسسات الاعلامية، وتأثيرات القوى الاجتماعية فيها، بحوث التأثير والدعاية ومحتوى الرسالة الاعلامية، بحوث تأثير وسائل الاتصال الجماهيري في الاختيارات السياسية والسلوك الانتخابي، البحوث الاعلامية وتفاعل المستقبل معها.

و ارتبطت مشكلات البحث العلمي في الاعلام والاتصال خلال النصف الاول من القرن العشرين بدراسة مستويات التأثيرات التي أحدثتها مؤسسات البث الكبرى في حركة التغيير الاجتماعي ذلك ان وسائل الاعلام تملك من النفوذ ما يسمح بصناعة الآراء وتحديد التوجهات، وقد تراجع هذا التوجه في البحوث نسبيا _ مع بداية الستينيات_ لينحصر التفكير في دراسة الجمهور من حيث انه تركيبة مركبة ومعقدة يستوجب فحصها الالمام بمضامين وسائل الاعلام، وبالعوامل الوسيطة الأخرى التي تسهم في تغيير السلوك، نتيجة التأثير الواضح بعلم النفس وعلم الاجتماع، ولئن أثرى هذا المنحى رصيد العلوم الإعلامية والاتصالية فإنه ساعد كثيرا على تطوير أساليب العمل والانتاج في الميادين الصحافية بالخصوص ومكن من تقليص الحواجز بين المجال المهني والمجال الأكاديمي، إذ ظلت الدراسات الامبريقية ترشد مؤسسات البث وتنير السبيل امام السياسات الاعلامية والاتصالية وتزيل صورة الجدل العقيم بين " النظري" و " التطبيقي" وبين " الصحافة الموهبة " والمعرفة الدقيقة.

- المرحلة الثالثة: بالإضافة إلى ذلك، أسهمت دراسات الجمهور ودراسات مضامين وسائل الاعلام في تغذية حركة التنمية الشاملة لكونها مادة اساسية لمراكز التوثيق والبحث بقطاعات الانتاج والبث، وقد بدأت هذه الفترة مع موجات الحركات التحررية في نهاية الخمسينات وبداية الستينات وشهدنا اهتماما جديدا في الدراسات الاعلامية، ركز على دور وسائل الاعلام في التنمية الوطنية.

- المرحلة الرابعة واهتمت الدراسات بتأثير الاعلام في الاطفال ودراسات القائم بالاتصال وكذلك دراسات وابحاث عن المقروئية واستهلاك وسائل الاعلام المختلفة من قبل الجمهور.

- و حاليا تتجه البحوث نحو دراسات الجمهور وتمثلاتها وعلاقتها بالإعلام الجديد.

- هذا بالنسبة للبحوث والدراسات اما التكوين فإن "نظرة سريعة لطبيعة البرامج الدراسية التي كانت تدرس في مجال الاعلام والاتصال خلال الثلاثين سنة الماضية، تبين بوضوح أسباب القصور في عدم تطور نظريات الاعلام والاتصال، لتكون مثل غيرها من النظريات في العلوم الاخرى، لقد كانت الأقسام العلمية المتخصصة لطلاب المرحلة الجامعية، بل تجاوز الأمر ذلك إلى تدريس غير المتخصصين في الاتصال مثل هذه المهارات، ولا شك أن التركيز على مثل هذا النوع فقط جملة المجالات الاكاديمية المتعلقة بالاتصال ساعد في تكوين صورة نمطية سلبية لدى الأقسام العلمية الأخرى عن الأقسام الاتصالية، مؤداها أن المتخصصين في هذا الفن هم مدرسو مهارات اتصالية وليسوا باحثين.¹⁷

- **المحور المنهجي:** يقول بيرجر إن الملاحظ لبحوث الاتصال يدرك أن من كتب هذه البحوث هم مهرة في استخدام الطرق الحديثة لجمع البيانات والمعلومات وتحليلها، وان الباحثين في مجال الاعلام والاتصال تلقوا تعليمهم في جامعات مشهورة ومعروفة بقوة أقسامها العلمية في هذه المجال، وفي الفترة نفسها شهد حقل الاعلام والاتصال تطبيقات متعددة لهذه الطرق الاحصائية الجديدة التي تتعامل مع المعلومات المتعلقة ببحوث الدارسين فيه... على الرغم من استخدام الباحثين في مجال الاعلام والاتصال للطرق الاحصائية في تحليل البيانات ومعالجتها فإن هذه الطرق لم تسهم في تأسيس إطار نظري يرقى إلى مستوى تمكن هؤلاء الباحثين واهتمامهم بتلك الأساليب الاحصائية الحديثة

- **الخوف من المسؤولية:** ويعني بيرجر بالخوف من المسؤولية... ان بناء النظرية وتأسيسها يعد مغامرة علمية، فالباحث عند اقتراحه لنظريته يضعها على محك والنقد والتقويم، واختبار فروضها وتطبيقاتها، وتدقيق نتائجها، وهناك احتمال كبير بأن نتائج اختبارات الغير لفروض النظرية التي توصلت إليها قد تكون سلبية، إي عدم قابلية تصديق ما توصلت اليه، هذه الاحتمالية - وبخاصة إذا نشرت النظرية في الكتب أو الدوريات العلمية، تمثل تهديدا لشخصية من اقترحها وانتقاصا من ذاته العلمية، وهذا ما يجعل معظم الباحثين يتخوفون من تبعات اقتراح نظريات جديدة في دراسات الاعلام والاتصال. وهو السبب نفسه في ان كثيرا من هؤلاء يسلكون الطريق السهلة، وهي اختبار فرضيات الآخرين دون محاولة اقتراح نظريات جديدة ليبتعدها عن النقد

الأكاديمي لذواتهم العلمية، ولذلك يقول بيرجر إن اختبار الفروض البحثية لنظريات قائمة أقل مخاطرة، من المنظور الأكاديمي، من تحمل تبعات اقتراح نظريات جديدة وهو سبب رئيسي في إحجام كثير من الباحثين في مجال الاعلام والاتصال عن محاولة توجيه جهودهم العلمية ودراساتهم الأكاديمية نحو البناء والتأسيس لنظريات جديدة في الاعلام والاتصال.¹⁸

2- علوم الاعلام والاتصال / الدراسات الاعلامية في الوطن العربي

إن الاتصال كواحد من العلوم الوضعية ليس له إرث فكري اسلامي، كما هو الحال في العديد من العلوم الأخرى كالرياضيات والفلك والطب، فمعظم تلك العلوم لها قواعدها العلمية الاسلامية، إذ أسهم المسلمون الأوائل في بناء فكرها أو لعبوا دورا في تطوير مناهجها وأدواتها. فالاتصال هو أحدث العلوم الاجتماعية السلوكية نشأة وأكثرها غربة عن الفكر الاسلامي، مقارنة مثلا بعلم الاجتماع الذي أسهم فيه ابن خلدون بشكل كبير وملفت أو علم النفس الذي أرسى قواعده ابن تيمية. العالم العربي لم يقم إلا بإعادة الانتاج، انتاج نماذج الأخر -الغرب- وقراءة أوضاعه وخصائصها بعيون هذا الأخر ابتداء من المسميات وصولا إلى الشبكات المفهومية والرؤى التي يصدر عنها، سواء في الحقل الاتصالي الاعلامي أو غيره من الحقول، وقد أثرت هذه الوضعية كثيرا سواء من ناحية التنظير والبحث العلمي في هذا الحقل، وذلك لمجموعة من الاسباب .

2-1- بين التأمل والتجريب

لقد تناول العديد من الباحثين والاكاديميين العرب مسائل ومشكلات حقل اختصاصهم بالتفكير والممارسة، وذلك ضمن إطار مرجعي يقوم أساسا على مقاربتين:¹⁹

ا- المقاربة الاولى: التي يمكن وصفها بالمقاربة التأملية أو المجردة دون ان تكون نظرية تماما وذلك نتيجة لعدم اعتمادها مرجعية نظرية ملائمة تساعد على قراءة واقعا الخصوص في المجتمع ووثيقة الصلة بموضوع البحث، ونظرا كذلك لعدم تجذرها في المكان والزمان، إذن هذه المقاربة تشتغل وفق رؤية تقوم على منطق مجدد متجاهلة عن قصد او دونه أهمية السياقات الاجتماعية _الثقافية، وكأنه بإمكان هذه المقاربة أن تدرس وقائع الاعلام والاتصال وظواهر خارج سياقاتها الخصوصية.

أ- المقاربة الثانية : تحمل صفة " التجريبية " او الامبريقية والتي تقيم مسائل الإعلام والاتصال انطلاقا من معطيات كمية، يتم تجميعها دون اتباع خط منهجي صارم، وهي تفتقد إلى اية كثافة دلالية، مغيبة بذلك الأبعاد الأخرى غير المادية للوقائع الميديايتيكية، الأبعاد المرتبطة بإنتاج المعنى متمظهرة في أشكال (علاقات ورموز وقيم وصور وتمثلات وكليشيهات مقبولة. .. الخ).

و هاتان المقاربتان أصبحتا بمثابة الطابع المرئي للبحوث والدراسات العربية في حقل الإعلام والاتصال.

2-2- مميزات الدراسات والبحوث الاعلامية والاتصالية في الوطن العربي

أذا تتميز الدراسات والبحوث العربية في الاعلام والاتصال المبنية على هاتين المقاربتين بما يلي:

1- **غياب الأصالة والابداع** : ويقصد بالأصالة في البحث العلمي تميز الأفكار الواردة في البحث بالجدة والأهمية العلمية، وتميز الباحث بالاستقلال الفكري ومعايشته الواقع، وتظهر الأصالة في اختيار فكرة البحث أو مشكلته، وفي اسلوب معالجتها، وفي الامثلة والتطبيقات التي يوردها الباحث، وفي النتائج التي توصل إليها والمقترحات التي يقدمها للمساهمة في علاج مشكلة ما، ويقصد بالإبداع تلك القدرات الذهنية العالية التي يتمكن الشخص بواسطتها من مد المجتمع الذي يعيش فيه بأفكار أصيلة متميزة، وهو بهذا مرادف للابتكار²⁰ ويفتقر إلى الاصالة ذلك البحث "الذي يعج بالأفكار، حيث يكون الباحث معجبا بالفكر الاجنبي، لمجرد انه اجنبي مهما كان مضمونه او محتواه، ومهما تضمن من تصورات أو تطبيقات لا تمت إلى الواقع العربي بصلة وهنا نجد بعض هؤلاء الباحثين يسلم بما ورد في المراجع الاجنبية من افكار دون محاولة لمناقشتها، في الوقت الذي تكون فيه تلك الافكار محل نظر، وتحتاج إلى تنفيذ ونقاش، بل قد يضرب الأمثلة ويورد التطبيقات من هذا الفكر الاجنبي دون اية محاولة من جانبه لمواءمة هذا الفكر لبيئته أو لإعادة صياغته بما يتلاءم مع الواقع الذي يعيشه ويمارس بحثه العلمي فيه"²¹ فانتشر النقل أو التقليد الآلي او شبه الآلي لنماذج ونظريات ومناهج في مجالات "البحث النظري" والتي أنتجت مجتمعات غربية في عدة مراحل متتالية من تاريخها، بهدف الاجابة عن اشكاليات محددة وذات خصوصية طرحتها تلك المجتمعات الغربية عنا وفي مراحل متعددة من تطورها. وهنا ينطبق على الباحث القول المأثور: "العود في أرضه نوع من الحطب" حيث ينبهر بالغير ويهمل ما يمتلك ولو كان هذا الاخير اكثر غنى وقيمة. ونحن لا ننكر ما في الفكر الاجنبي من فائدة وتطور ولكننا نعيب ذلك النقل غير الواعي سواء نقلا حرفيا او غير حرفي.

2- **اعتماد نظريات أو مناهج في مجالات "البحوث الامبريقية"**، والاكتفاء بوصف مضامينها: وذلك "بانتهاج منحي يجنب ادراجها ضمن اطار معقد يأخذ بعين الاعتبار المنطق الداخلي لاشتغال كل منها، وهذا يعني طرح السؤال الجوهرى المتمثل في معرفة ظروف ونشأة وتتابع هذه النظريات أو المناهج".²²

3- **اضفاء القيم الغربية عليها واعطائها تصورات يتفق وطبيعة النظرة الغربية للإنسان ووظيفته وعلاقته بخالقه:** فقد توصل الغرب لاكتشافات كبيرة جعل الناس

يفتنون ويظنون أن كل انتاجه علمي ومتكامل وبناء، وهو ما جعلهم يصفون صبغة العلمية على آراء وتصورات الفلاسفة والمفكرين الغربيين بدون تمحيص كبير وعميق لهذه الآراء.²³

إذن فهذه البحوث تفتقد إلى تقاليد المسائلة النظرية القائمة على التجذير والنقد، فهي بحوث أكاديمية _ عربية _ "تفكر في مشكلات الاتصال ووقائعه دون انشغال واضح ودائم في وضعها ضمن أطر المكان والزمان والنظرية، وهذا يعني عدم ادراج هذه المشكلات والوقائع في سياقات جغرافية وبشرية وثقافية وزمنية مختلفة تراعي خصوصيات المجتمعات المحلية والجماعات الاجتماعية والجهات الثقافية والمجتمعات الكلية والأمم".²⁴

4- **تشنت اتجاهات الباحثين العرب:** في مقال كتبه محمد حمدان في المجلة التونسية لعلوم الإعلام والاتصال²⁵ أوضح أن اهتمامات العرب الباحثين في ميدان الاعلام والاتصال كانت متباينة ومشتتة فهي موزعة بين الأبحاث النظرية والابحاث التطبيقية، وبين المناهج التوثيقية والمناهج الميدانية، وبين مختلف وسائل الاعلام، بدون بروز أولويات استراتيجية واضحة في البحث، وأقر أنه لا يمكن الحديث عن مدرسة عربية متميزة في الاعلام والاتصال في هذه الوضعية.

2-3- أسباب هذه الوضعية

لماذا يغيب الفعل المعرفي التراكمي في هذا الحقل رغم مرور وقت ليس بالقصير على وجود مؤسسات أكاديمية وبحثية؟ ولماذا تغيب إدارة المعرفة عن هذا الحقل وتسود عقلية "القراءات" الانشائية التي تتوسل باللغة العربية لممارسة كل انواع التسطيح؟ هل نقول ان اهتمامات الباحث العربي عموما مازالت تتمركز حول " تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها".²⁶

1- **غياب العقل الاعلامي العربي:** أن هذه العوائق كثيرة لا شك، وهي تتوزع بين الثقافي والاجتماعي والمؤسستي ولكن العائق الأكبر في نظرنا يتمثل في الباحث نفسه. ويظهر ذلك في :

2- **حجة أن العلم لا وطن له:** "فالعلم في مستواه العقلي لا يحمل جنسية أو عقيدة معينة، فالمعرفة واحدة والعلم واحد مهما كان مصدره، وفي هذه العملية هناك تراكم في المعارف الإعلامية بدءًا بظهور الصحافة في القرن 16 بأوروبا مرورًا بتطور علم الإعلام في العشرينيات من القرن العشرين بأمريكا إلى سيادة تكنولوجيا الاتصال حديثًا. ومن جهة أخرى، فإن البحث عما يميز الإعلام في المنطقة العربية أمر مشروع ومطلوب. والحاصل أن الثنائية التي تحدث عنها بعض الكتاب والباحثين من أن النخبة في المنطقة العربية إما أن تكون تقليدية دون المعاصرة أو حديثة دون الانتماء ماثلة إلى حد ما في الدارسين الإعلاميين عندنا".²⁷

3- غياب روح المبادرة والابتكار لدى الباحث العربي: "الذي لا يتجاوز أفقه ساعات "تدرسية" يفتضيها في ترديد مقولات تجاوزها الزمن وتقترب من الدوغمائية أكثر من اقترابها من العلم، أو "القيام" بدراسات تحتل فيها الجداول الاحصائية المنزوعة من سياقاتها الحيز الاكبر، وتغيب عنها الصرامة العلمية، صرامة العقل البرهاني وتحضر فيها انشائية العقل السردي، وإذا سألت احدهم أو احدهن عن سبب هذا الحضور الطاعي للتسطيح واستبعاد العقل، أجابك أو إجابتك بأنها مقتضيات الترقية.²⁸

4- عدم كفاية التقدير المالي أو الأدبي للباحث: قد يكون هذا من اهم اسباب هبوط مستوى البحث العلمي في بعض البلاد العربية، حيث يتعرض رجل العلم لضغوط مالية كبيرة نتيجة عدم كفاية التقدير المالي، او العائد المالي لإنتاجه العلمي، والعمل العلمي يحتاج فضلا عن المعرفة والعلم إلى راحة البال وصفاء الذهن من المشكلات.

29

5- الفجوة بين التكوين والبحث العلمي الأكاديمي في حقل الإعلام: من المعروف أن التكوين الأكاديمي والبحث العلمي مجالين من الصعب التوفيق بينهما فلا بد ان يطغى احدها على الآخر، ومن الملاحظ أن معاهد الاعلام والاتصال في الوطن العربي عموما كان همها منذ نشأتها الاولى هو تلبية حاجات السوق الصحفية، و"إن نظرة سريعة على المقررات الدراسية ومضامينها في كليات ومعاهد وأقسام الاتصال والاعلام في العالم العربي توحى بترهل أغلبها وعدم مساومتها للواقع".³⁰

وقد اتجه قسم من بلدان العالم العربي إلى الاخذ بالتقليد الأنجلو سكسوني في مسميات ومقررات ومحتويات برامجها الدراسية الاعلامية والاتصالية لأسباب كثيرة ربما يرتبط أهمها بالإرث الاستعماري والوظيفة الايديولوجية للفضاء الاكاديمي عموما وقسم ثاني تبنى " النموذج" الفرانكفوني في التسمية والمحتوى المعرفي لأسباب لا تختلف كثيرا من الاسباب السابقة، وقسم ثالث زواج بين المنظومتين، بل ربما انحصر الأمر غالبا في مسميات البرامج الأكاديمية التي تعكس هذا الجمع ولا تتجاوزه إلى غيره. وقد يرجع سبب التقليد الغربي إلى طبيعة المنهج المدرس وما تلقاه الباحثين أثناء فترة الدراسة من مساقات ومواد تهيمن عليها السمات الفكرية الغربية.

6- ضعف المستوى العلمي التعليمي: إما لعدم الاستناد على أسس علمية في التخطيط لسياسات التعليم، وإما لوجود معوقات تحول دون وضع السياسات التعليمية السليمة موضع التطبيق الصحيح (مشكلة الاعداد الكبيرة للدارسين في بعض الجامعات العربية تحول دون تنفيذ برامج هذه السياسات، وان وضعت على أسس دقيقة).³¹

أن ازدهار الصناعات الاعلامية في هذا العالم العربي والحاجة إلى كوادر إعلامية تمتلك كفايات مهنية بعد حصول الدول العربية على استقلالها، دفع بالقائمين على أموره إلى التساوق مع هذا الوضع وانشاء الكثير من الكليات والمعاهد والاقسام

المتخصصة في الدراسات الاتصالية والاعلامية، وقد وفرت هذه المجلات الأكاديمية على اختلاف مسمياتها ومرجعياتها، مقررات دراسية تتوزع مضامينها بين الصحافة والإذاعة والتلفزيون والعلاقات العامة، وكل ما يتصل بالإعلام الجديد وقد كان رهانها منذ البداية تزويد الملحقين بها بكفايتين متكاملتين أدبية – مهنية من خلال التحكم في قواعد الكتابة الاعلامية وتقنية – مهنية من خلال اتقان استخدام التكنولوجيا في العمل الاعلامي، وقد تفاوت نجاح هذه المؤسسات فمنها من بنى نفسه رأسمال رمزي وصورة ذهنية جعلتاه مقصدا للكثير من الطامحين إلى ممارسة العمل الاعلامي بكل تفرعاته ومنها من تكاسلت رؤيته وانقطع عن حركية الواقع فأصبح دوره لا يتعدى الدفع بالآلاف سنويا إلى سوق البطالة.

7- ضعف التكوين الثقافي والعلمي للطالب: ومن الملاحظ بعض المجتمعات أن بعض خريجي الجامعات يفتقدون إلى الثقافة، ويمكننا القول لأن بعض خريجي الجامعات في العالم العربي اليوم تقتصر ثقافته على بعض المعرفة النظرية او العملية في مجال التخصص فقط، وقد يكتفي بالأصول العامة للتخصص، دون التعمق في جزئياته.³²

8- قلة المراجع باللغة العربية ونقص حركة الترجمة: ومن المعلوم أن المراجع العربية في المواد الاعلامية قليلة جدا، نظرا لمتطلبات البرامج الدراسية، "و قد قامت في العشرية الاخيرة جماعة من العرب مثل ابراهيم أمام وعبد اللطيف حمزة وجيهان أحمد رشتي وغيرهم بوضع كتب عن ظاهرة الاتصال ووسائلها وهي كتب ثمينة تزود الطالب بمعلومات جمة حول الموضوع وتعرفنا بنشاط هذا العلم في الغرب وفي الولايات المتحدة، وكثيرا ما تعتمد هذه الكتب في عروضها وشروحها على الاستنتاجات والاكتشافات التي توصل إليها أخيرا علم النفس الاجتماعي والدراسات التي وضعت عن الرأي العام وهذا المنهج جعل هذه الكتب تركز اهتماما أكثر على الدعاية وأساليبها وأهدافها وتنظر إلى وسائل الاتصال كركائز للدعاية وتهتم من جهة أخرى على الراي العام وعلى ماهيته وعلى طرق التأثير خاصة بوسائل الاتصال، فأصبحت هذه الوسائل في نظر هؤلاء العلماء مادة ثانوية في دراستهم في حين أن الدراسات الاعلامية في الغرب بدأت منذ قبيل الحرب العالمية الثانية تستقل عن علم النفس الاجتماعية وتكون علما قائما بنفسه له اهتماماته الخاصة وميدانية الخاص متجاوزة في ذلك مرحلة الاتصال الشخصي ومكثفة جهودها حول الاتصال الجماهيري ووسائله.³³ زيادة على ذلك غياب المؤسسات التي تتبنى المبادرات.

9- رهانات جديدة تعترض البحوث الاعلامية والاتصالية في الوطن العربي: وهناك أيضا قضايا مرتبطة بالرهانات النظرية والمنهجية المتصلة بدراسة الظواهر الجديدة كتجديد المفاهيم وإعادة النظر في المقاربات النظرية السائدة وابتكار منهجيات جديدة. ومن بين التحديات المطروحة أمام الاتصاليين الراغبين في ارتياد درب التأصيل :

تحديات العولمة وافرازاتها التي أُنذر بها المفكر الكندي " مارشال ماكلوهان " حين نظر إلى قرب توحيد العالم في قرية تغيب فيها معالم الخصوصية الثقافية، وتتلاشى خطوط التباين السياسي وتتداخل المجتمعات رغم تباعدها الجغرافي المكاني نفسه. وإن كان هذا هو واقع الاعلام والاتصال في العالم العربي، كيف هو حاله في الجزائر؟

3- وضعية علوم الاعلام والاتصال في الجزائر

3-1- التطور التاريخي لهذه العلوم في التعليم العالي الجزائري

تعتبر الجزائر من الدول العربية الرائدة في مجال تدريس الاعلام في المرحلة الجامعية، وتشير الإحصائيات إلى " وجود أكثر من 15 قسم لعلوم الاعلام والاتصال بمختلف الجامعات الجزائرية إلى جانب مدرسة وطنية عليا للصحافة وعلوم الاعلام التي تم فتحها في السنة الجامعية 2009/2010، هذا بالإضافة إلى بعض المدارس التي بدأت التدريس في هذا القطاع"³⁴ ولكن ما هي اهم محطات هذا القطاع منذ الاستقلال إلى يومنا هذا؟

بعد استرجاع السيادة الوطنية ومقوماتها اهتمت الدولة الجزائرية المستقلة بقطاع الإعلام، والذي يظهر من خلال التشريعات والنصوص المختلفة، وإعادة هيكلة مختلف المؤسسات الاعلامية -باعتبارها احد القطاعات الاستراتيجية- بالطريقة التي توافق واتجاهات السياسة العامة للبلاد آنذاك. حيث اقترنت فلسفة التدريس الاعلامي بمخطط بناء الدولة الاشتراكية، وبرزت ضرورة إيجاد مؤسسة تتكفل بالتكوين والتدريب الاعلامي وتحقق ذلك سنة 1964، فبعد عامين من استقلالها شهدت الجزائر ميلاد المدرسة الوطنية للصحافة، واهتمت هذه المدرسة بتكوين اعلاميين مهنيين دون الاهتمام بالتنظير، وقد ظلت هذه المدرسة لمدة ثلاثة عقود المكان الاوحد لتدريس علوم الصحافة والإعلام، حيث انطلق التدريس في بأعداد محدودة من الطلبة وذلك لعدة أسباب في مقدمتها نقص التأطير وقلة الامكانيات، وبدأ التكوين باللغة الفرنسية (أساتذة فرنسيين، بلجيكيين وأفارقة) وذلك بحكم الظروف التاريخية، فالهدف الاساسي من هذه المدرسة هو تخريج كوادر اعلامية تملأ الفراغ الاعلامي الموجود آنذاك من جهة ومن جهة اخرى تكوين مناضلين مدافعين عن الاشتراكية في مدة ثلاث سنوات دراسية للحصول على الليسانس.

وقد بدأ الاهتمام بالبحث والتكوين الأكاديمي العالي في منتصف السبعينات، وشهدت تلك الفترة بداية البعثات الطلابية إلى الخارج للحصول على الشهادات العليا في الاعلام والاتصال.

وتتميز التكوين بالنوعي والنخبوي: إذ تميزت المديرية بالأعداد القليلة وتميزت الدفعات الأولى بتكوين عال وجيد في الاعلام والتي تقلدت لاحقا مسؤوليات وقيادات في مختلف المؤسسات الاعلامية، وهي الحالة التي لا نجدها الان نظرا لحالة التشعب التي تميز هذه الفترة.

وفي عام 1974 تم دمج المدرسة الوطنية للصحافة مع معهد الدراسات السياسية لينشأ معهد العلوم السياسية والاعلامية تحت وزارة التعليم العالي وتميزت هذه المرحلة بأن اصبحت مدة الدراسة الجامعية لنيل الليسانس أربع سنوات سنتين جذع مشترك وستين تخصص. وذلك بهدف السيطرة عليها بشكل افضل، كما تميزت هذه الفترة بالتعريب وارسال البعثات الطلابية إلى الخارج.

وقد تم فك الارتباط بين التخصصين الاعلام والسياسية حيث "بداية من الدخول الجامعي 1983/1982، اصبح التكوين في الجزائر يتم بمعهد علوم الاعلام والاتصال، ومن خلال التسمية الجديدة نلاحظ تطور منظور القائمين على التكوين الاعلامي...³⁵ وتعتبر هذه الفترة من أبرز مراحل التكوين الاعلامي في الجزائر منذ استقلالها، حيث تميزت بالتعريب الكامل للتدريس، والاعتماد على الكوادر الجزائرية، وخاصة بعد عودة البعثات الطلابية من الخارج، كما تميزت بديمقراطية التعليم ومجانيته، ولكن ظلت صفة النضال والالتزام بالاشتراكية ترافق التكوين الاعلامي.

ثم انتقلت علوم الاعلام والاتصال من تخصص نخبوي إلى تخصص جماهيري مع مجيء فترة التسعينيات التي جلبت معها جملة من التغييرات التي مست العديد من المجالات ومنها التعليم العالي.

وبالتحديد سنة 1999، أين الغي نظام المعاهد وحل مكانه نظام الكليات والأقسام، "وكانت البداية مع جامعة عنابة في الشرق الجزائري التي حاولت في البداية أن يتميز التكوين في الاتصال بالاهتمام بالعلاقات العامة والاتصال في التنظيمات، ثم فتح قسم الاعلام والاتصال في جامعة وهران بالغرب الجزائري، فجامعة مستغانم، ثم جامعة قسنطينة بالشرق الجزائري، وفي فترة وجيزة تعددت أقسام التدريس للإعلام والاتصال في الجامعات الجزائرية... هذا التوسع أدى إلى بداية نهاية بريق التكوين في مجال الصحافة والاعلام والاتصال، والأسباب كثيرة في مقدمتها³⁶:

- تشتت القدرات في مجال التأطير: ففتح اقسام جديدة أدى إلى التحاق بعض أساتذة هيئة التدريس لهذه الاقسام وهو ما أدى إلى تشتت الطاقات وهدر الامكانيات التي كانت بحوزة القسم الاصل بجامعة الجزائر، ففتح اقسام جديدة للإعلام والاتصال بشكل متسرع وغير مدروس الامر الذي أوقعها في مشكلات متعددة على راسها الافتقار للكفاءات المؤطرة والوسائل المساعدة للتدريس والتكوين.
- افتقار العديد من الاقسام إلى وسائل اعلام محلية للتدريب وتوظيف الخريجين.

• تواجد الأقسام في كليات غير متجانسة، فبعض الأقسام في كليات الآداب واخرى في كليات العلوم الانسانية والاجتماعية، او العلوم الاقتصادية والحقوق وهذا ما جعل اقسام الاعلام الفنية تعاني التهميش مقارنة بالأقسام الاخرى المتواجدة منذ عشرات السنين

• أما الجوانب الايجابية التي ميزت التكوين في هذه المرحلة فتكمن في توحيد البرامج على مستوى جميع الأقسام في القطر الجزائري.

ومن ثم تأتي مرحلة جديدة مع النظام الجديد ل.م.د.: في اطار اصلاحات التعليم العالي تبنت الجامعات الجزائرية نظاما جديدا (ل.م.د) وهي اختصارات للأطوار الدراسية الليسانس، (فترة ثلاث سنوات) الماستر(سنتين) والدكتوراه (ثلاث سنوات دراسية)، وهو نظام مستوحى من النظام التعليمي الأوروبي، وقد مس هذا النظام جميع الأقسام العلمية ما عدا العلوم الطبية والصيدلة والشبه طبي، وبعض المدارس العليا.

وقد شرع في تطبيق هذا النظام في علوم الاعلام والاتصال منذ السنة الدراسية 2006/2007 في مختلف الجامعات الجزائرية، وفي مختلف التخصصات في مقدمتها الاعلام والاتصال، ويمكن تحديد تموقع التكوين الاعلامي في هذا النظام في النقاط التالية:³⁷

• عدم اعتبار علوم الاعلام والاتصال حقلا معرفيا مستقلا بذاته.
• تغييب السنة أولى من خلال دمجها ضمن العلوم الاجتماعية و/ أو الانسانية وهذا على حساب مواد ومساقات مهمة في الاعلام والاتصال.

• تقليص فترة الدراسة إلى ثلاث سنوات وهو ما يجعلنا نتساءل عن إمكانية ان يلم الطالب باختصاصه في هذه المجال، وفي هذه المدة القصيرة مع الاخذ باعتبار السنة أولى جذع مشترك.

• نظام ل.م.د يتماشى مع الاعداد المحدودة من الطلبة، وليس مع أعداد الطلبة التي تتزايد كل دخول جامعي. فانتقل التكوين من النوعي إلى الكمي ومن النخبوي إلى الجماهيري، فقد " تجاوز عدد الأقسام الخمسة عشرة قسما، وناهز عدد الطلاب الـ 20000 طالب منهم 8000 بقسم الاعلام والاتصال بكلية العلوم السياسية والإعلام بجامعة الجزائر"³⁸ وهذا في ظل نقص التأطير والمختصين أمام الاعداد المتزايدة من المنتسبين لهذا الميدان المعرفي.

"ان نجاح التدريس الاعلامي في الجزائر مستقبلا يتوقف على مدى الوعي بخصوصية التكوين في هذا الحقل وبتقسيم شامل لمخرجات التكوين في العشرية الاخيرة وتصحيح الاخطاء التي ميزت التجربة وإعادة بعث هذه الميدان"³⁹.

3-2- نظرية عزي عبد الرحمن كأحدى أهم نماذج التأصيل الفكري العربي

قد ظهرت حديثاً نظرية جديدة في الاعلام والاتصال تحت مسمى: نظرية الحتمية القيمة في الإعلام - لصاحبها الجزائري عزي عبد الرحمن، ويجدر التذكير بأصالتها كنظرية عربية جزائرية في الاعلام، فبالرغم من كل هذا الانسداد المعرفي بزغت هذه النظرية التأصيلية، وكانت هذه التجربة المعرفة الأولى من نوعها في الوطن العربي التي "تجعلنا نتجاوز الموقفين الطرفين، الأول الذي يتعلق بالإسقاط غير الواعي للنظريات الغربية والثاني الرفض غير المبرر، فكانت هذه النظرية مخرجا موضوعيا تملأ الفجوة المعرفية التي تعاني منها الدراسات العربية والإسلامية، خاصة في مجال علوم الإعلام، ومن بين المشتركات الإنسانية الاتفاق على القيم كأرضية للإنتاج العلمي والمعرفي⁴⁰.

4 - ضرورة التجديد للوصول إلى مدرسة عربية متميزة في الاعلام والاتصال

إن حاجة هذا القطاع إلى الدرس المعمق والتفكير الحثيث والنظر البعيد تتأكد يوماً بعد يوم⁴¹ وكذا " تقديم رؤية تأصيلية مميزة في الوطن العربي ولتجاوز مرحلة اجترار وتقليد الابحاث الغربية ونكون فاعلين في تقديم الاضافات العلمية التي تتماشى وواقعنا وتستجيب لحاجياتنا⁴² ومن أجل إرساء علوم الإعلام والاتصال على قواعد فكرية شديدة الصلابة ومتكيفة مع خصوصية مجتمعاتنا، تمكنها من الصمود والبقاء وحتى التطور، وذلك من خلال :

1- ضرورة الأصالة: من المفروض أن يتضمن البحث العلمي أفكاراً جديدة تعد إضافة جديدة إلى الفرع العلمي الذي ينتمي إليه موضوع البحث، وليس الجديد ان تكون الافكار مبتكرة تظهر لأول مرة، أو في صورة اختراع معين، إذ الابداع والابتكار على هذا النحو، مطلباً صعباً لتحقيق في مختلف البحوث، وبخاصة فيما يجري منها في مجال العلوم الانسانية والنظرية، ولذلك فأن ما يحققه البحث العلمي من إضافات، وان لم تصل إلى حد الابتكار او الاختراع، قد تكون كافية للقول بأصالة البحث سواء تمثل ذلك في تكميل ناقص أو في إيضاح مبهم، أو ترتيب مختلط..⁴³

2- ضرورة إعادة القراءة والتأمل والمسائلة: على معاهد الإعلام والمجتمعات العربية ومراكز البحوث للتعاون فيما بينها لإعداد ملخصات مسحية شاملة للبحوث المنجزة في مجالي الإعلام والاتصال وتقييمها وإبراز مواطن الضعف فيها لتجاوز هذه الوضعية، فمثل " هذه الظواهر الضارة كما تحتاج إلى مثل هذه الدراسات التحليلية الانتقادية تحتاج بشدة إلى المزيد من الدراسات العلمية المتأنيبة المعتمدة على الدراسات المسحية والاحصائية، حتى يمكن اقتراح اوجه العلاج الملائمة على اسس علمية دقيقة⁴⁴، وهذه هي مهمة مراكز البحوث المتخصصة.

3- في ضرورة التاريخ للإعلام والاتصال في الوطن العربي: و إن تاريخ الاعلام والاتصال في العالم العربي لم يكتب بعد رغم نصف قرن تقريبا من وجود هذه العلوم إراديا ومؤسساتيا، ويتجلى ذلك خاصة عبر تجربة مصر الممهدة، وبدون كتابة تاريخ هذه العلوم في مرحلة قادمة. .. تاريخ مؤسس يستند أولا أساسا إلى ثقافات مجتمعاتنا، ثقافات مفتوحة على مرجعيات أخرى غير عربية، وعلى سياقات وتيارات فكرية، فقد تندثر هذه العلوم، إن عاجلا أو آجلا في هذه المنطقة الشاسعة من العالم لا كواقع علمي، وإنما كمجرد ظاهرة إدارية مؤسساتية.⁴⁵

4- في ضرورة التجديد النظري والمنهجي: يجب أن نتعامل مع بحوث الإعلام والاتصال الغربية كتراكمات معرفية ظهرت للمبررات موضوعية واقعية، فيجب التعامل معها كما هي وفي إطارها المنهجي، ولا يجوز إخراجها من ذلك الإطار، مع التأكيد على انه لا يمكن إبدال نظرية بنظرية، بل من الواجب تغيير نظرية بحقيقة علمية، أما النظريات فهي عبارة عن تراكمات معرفية إنسانية يجب الاستفادة منها والتفاعل معها وتقييمها ونقدها وكل ذلك من خلال الحراك والجدل العلمي المفيد دون عقد وفوييا وهمي، كما يجب البحث عن المنطلقات والمبادئ التي تقوم عليها النظرية، والبحث عن العوامل المشتركة التي تليق بالأمة العربية⁴⁶ وخاصة مع التطورات المتلاحقة لتكنولوجيات الاعلام والاتصال وفي مقدمتها ثورة الانترنت والوسائط الاعلامية الجديدة، وعليه يجب "تجديد الجهاز النظري والمنهجي الذي وظفه الباحثون لدراسة الظواهر الاعلامية والاتصالية، فالانشغال بالممارسات ذات الصلة بالوسائط الجديدة تفتح لأفاقا جديدة إلى الباحثين خاصة في مستوى إعادة التفكير في المفهوم. .. ومن هذا المنظور فان التفكير في الانترنت يتيح بلورة أطر نظرية جديدة، إذ لا يتعلق الامر بمجرد بلورة مناهج جديدة بل تتجاوز ذلك إلى بلورة مفاهيم وأطر نظرية جديدة وإعادة التفكير في المقاربات السابقة والسائدة.⁴⁷

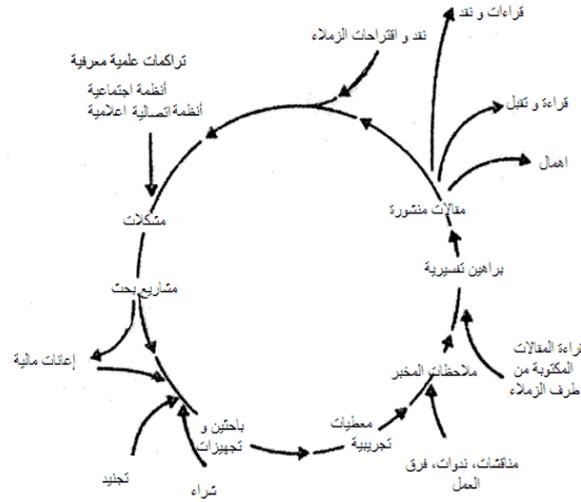
5- ضرورة التفكير المتزامن والتحديث الآني: على الباحثين والدارسين في هذا المجال المتعدد التخصصات أن يكونوا أكثر اهتماما بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية والسياسية التي تشهدها مجتمعاتنا العربية وربط هذه التغيرات بكيفية التعامل مع تكنولوجيات الإعلام والاتصال الكثيرة التحديث والسريعة الانتشار والتأثير.

6- ضرورة حشد الطاقات والتعاون والتثمين والنقد البناء: حشد طاقات فكرية ومادية هائلة على امتداد سنوات طويلة ضمن خطة محكمة، فالبحث العلمي بشكل عام يحتاج إلى فضاء جماعي يعمل على تثمين البحوث من خلال التواصل والتبادل والنقاش والنقد وحتى النشر الجماعي كالكتب الجماعية حول مختلف الإشكاليات، والمجلات العلمية المتخصصة، والجمعيات والمؤتمرات العلمية وكذا المشاريع

العلمية الكبرى التي تتيح فرصة الحصول على معطيات تجريبية توظف في مختلف البحوث. وبداية يجب " تثمين الجهد الذي قام به الدكتور عبد الرحمان عزي وتبني هذه النظرية من قبل المؤسسات الرسمية والأكاديمية من خلال توجيه الطلبة لدراستها وتحليلها في بحوثهم.

7- ضرورة اتباع خطة ممنهجة لدراسة الظاهرة الاعلامية والاتصالية في المجتمعات العربية:

تأسيس طريق منهجية علمية متفق عليها في علوم الإعلام والاتصال، ويجب تطوير البحوث والدراسات من اجل تحقيق مدرسة متميزة في هذا الحقل، ومن أجل بناء المعرفة العلمية في مجال الاعلام والاتصال، نقترح هذا المخطط المستوحى من دور المعرفة لـ " كالون " Callon في كتابه "دورة انتاج المعرفة العلمية "



مخطط(01): دورة انتاج المعرفة العلمية في مجال الاعلام والاتصال

خاتمة:

تلعب البحوث العلمية وتطبيقاتها التكنولوجية دورا مهما في تطور رفاهية المجتمع في اي دولة، فالعلم هو مجموعة من المفاهيم والمبادئ النظرية ذات العلاقة النفعية للإنسان، ويمكن اعتبار إجراء البحوث العلمية مقياسا لتقدم هذه الدول ونموها الاجتماعي والاقتصادي، فالدول التي تعرف وتحسن كيف تطبق مخرجات البحث العلمي نجدها دائما تحتل مكانة الصدارة في مختلف المجالات، وتعتبر العلوم الإنسانية والاجتماعية من بين العلوم التي عرفت الكثير من النقاشات الحادة والأصوات المختلفة التي حاولت تفسير الظواهر الإنسانية والاجتماعية وتقديم نظرية شاملة تفسر

مختلف مراحل هذه الظواهر وتفاعلاتها ومخرجاتها، والإعلام والاتصال كحقل معرفي هو الأكثر تميزاً باختلاف زوايا الرؤى وبالتالي اختلاف النظريات العلمية المفسرة للظاهرة الاتصالية والإعلامية، نظراً لحدوث هذا الحقل المعرفي من جهة ولارتباط ظواهره بمختلف الظواهر الأخرى من جهة أخرى وكذا ارتباط التنظير في هذا الحقل بالتطورات التي عرفتها وسائل الإعلام والاتصال المتسارعة والمتلاحقة، فعجز التنظير عن اللحاق بها ومواكبة تطوراتها، وبالرغم من كل هذا فقد ظهرت العديد من النظريات منذ ظهور الصحافة المكتوبة وانتشارها في القرن 16، وقد تنوعت هذه النظريات واختلفت حسب اتجاهات الباحثين من الاتجاه الأميركي الأمريكي أو النقدي الأوربي، والاتجاهات المعاصرة التي تأخذ الجمهور منطلقاً أساسياً لها. ولكن ما يميز الساحة العربية لعلوم الإعلام والاتصال - حسب التعبير الفرنكفوني - هو ثنائية النقل أو الرفض، فإما الرفض القاطع وغير المبرر لكل ما هو غربي، وإما مجرد تطبيق فروض النظريات الغربية بدون أدنى اهتمام بالسياقات المختلفة التي ولدت هذه الفروض والسياقات العربية، نتيجة لعدة أسباب، كالانبهار من جهة والركود على أساس أن العلم لا يعترف بالحدود الجغرافية!! ولم تكن هناك قراءات متواصلة ومتجددة للإرث العلمي الخاص، كما هو الشأن بالنسبة للفلسفة اليونانية والفلسفة الأوربية الحديثة، الأمر الذي خلف بحوثاً ودراسات بعيدة عن الواقع الحقيقي للمجتمعات العربية، من جهة ومن جهة أخرى انتشرت مؤخراً السرقات العلمية، حيث غاب الوازع الأخلاقي "للباحث العلمي"، كما غابت أصول التفكير المنهجي في هذه البحوث والدراسات.

ولكن في الآونة الأخيرة تقطن العديد من الباحثين والدارسين العرب أنه يجب إعادة النظر في هذا المنحى الذي سلكته هذه العلوم وأنه من حق المنطقة العربية أن تزخر هي الأخرى بنظرياتها الخاصة في الإعلام والاتصال ولا سيما مع تطور وسائل الإعلام وزيادة أهميتها وإشكالاتها المختلفة والمتعددة في هذه البيئات العربية، وأنه يجب تأسيس مرحلة تاريخية جديدة بمنهجية صارمة ورؤية تأصيلية تجذيرية، ووضع بصمة متميزة في هذا الحقل العلمي. وبالتالي فإن تجاوز هذه الوضعية يتطلب بداية التخلص من عقلية "الحنطة" - كما وصفها ابن خلدون - واستغلال المرجعيات الفلسفية العربية - الإسلامية، على غرار الفلسفات الأخرى، أو ربما كان من الأفضل إقصاء كل هذه التعارضات والتعثر الذي يميز حقل الاتصال والبدء من الصفر كما اقترحا ماتيلار في كتابهما "تاريخ نظريات الاتصال" وعلى أية حال "يجب أن نؤمن بأن" باحثينا لهم من الكفاءة والشجاعة حتى يعيدوا النظر في الأبحاث الإعلامية والاتصالية الغربية المسلم بها، لنثبت نسبية ما جاءت به من نتائج وقدرتنا على تقديم الإضافة"⁴⁸ ومما لا شك فيه أن ارتباط الإعلام والاتصال بالتكنولوجيات دائمة التطور يؤثر على العلوم التي تتناولها بالتنظير والدرس، مما يجعل تتجدد في كل مرحلة ويظل باب الاجتهاد مفتوحاً باستمرار.

هوامش البحث:

- ¹ : عواطف عبد الرحمن: العرب... و فجوة العقل الاعلامي، مجلة العربي، العدد 566، جانفي 2006، متاح في: <http://www.alarabimag.com/Article.asp?Art=4312&ID=102>، اطلع عليه بتاريخ 20/09/2013، على الساعة 14.30
- ² : نصير بوعلي وآخرون: قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الاعلام، مكتبة أقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط.01، 2009، ص.14.
- ³ : الصادق رابح :: عرض كتاب علوم الاعلام والاتصال واشكالية التكوين المهني في العالم العربي، دورية الشرق الاوسط، العدد 06، 2010، ص.01، متاح في <http://3awn.com/%D>، اطلع عليه بتاريخ 01-10-2013 على الساعة 10.00
- ⁴ : أرمان ماتيلار، ميشال ماتيلار ميشال: تاريخ نظريات الاتصال، تر. نصر الدين العياضي، الصادق رابح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط.2005، ص.03، ص.21.
- ⁵ : تيسير مشاركة : مدخل إلى الدراسات الاعلامية، منشورات بيت المقدس، رام الله، فلسطين، ط.2002، ص.01، ص.71.
- ⁶ : أرمان ماتيلار، ميشال ماتيلار ميشال: تاريخ نظريات الاتصال، مرجع سبق ذكره، ص.19.
- ⁷ : عبد الله الحيدري : الافتتاحية، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 31، جانفي - جوان 1997، معهد الصحافة و علوم الاخبار، منوبة، تونس، ص.06.
- ⁸ : بدر الدين زواقة:: علوم الاعلام والاتصال بين النظرية الاسلامية ونظرية الحتمية القيمية، متاح في : <http://diae.net/9443>، اطلع عليه بتاريخ 30-09-2013، على الساعة 15.00.
- ⁹ : مي العبد الله: نظريات الاتصال، مرجع سبق ذكره، ص.06.
- ¹⁰ : المرجع نفسه، ص.16-17.
- ¹¹ : المرجع نفسه، ص.07.
- ¹² : نصير بوعلي وآخرون: مرجع سابق. ص. 110.
- ¹³ : نصير بوعلي: قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، مرجع سبق ذكره، ص 112.
- ¹⁴ : عبد الرحمن عزي: دعوة إلى فهم علم الاجتماع الإعلامي، الدار المتوسطة للنشر، بيروت- تونس، ط.2010، ص.01، ص.08.
- ¹⁵ : المرجع نفسه، ص.06.
- ¹⁶ : مي العبد الله، نظريات الاتصال، مرجع سبق ذكره، ص.17.
- ¹⁷ : المرجع نفسه، ص.19-20.
- ¹⁸ : المرجع نفسه، ص.21-22.
- ¹⁹ : يوسف بن رمضان : تاريخ علوم الإعلام والاتصال في الوطن العربي وفي إفريقيا شرط ممهد لبناء حداثة جديدة، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، ع. 48/47 جويلية 2006-جوان 2007، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، منوبة، تونس، ص.07.
- ²⁰ : خضر عبد الفتاح: أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مكتبة صلاح الحجيلان، الرياض، ط.1992، ص.03، ص.19.
- ²¹ : المرجع نفسه، ص.30.
- ²² : يوسف بن رمضان : تاريخ علوم الإعلام والاتصال في الوطن العربي وفي إفريقيا شرط ممهد لبناء حداثة جديدة، مرجع سبق ذكره، ص.07-08.
- ²³ : نصير بوعلي وآخرون: قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام مرجع سبق ذكره، ص 110.
- ²⁴ : يوسف بن رمضان : تاريخ علوم الإعلام والاتصال في الوطن العربي وفي إفريقيا شرط ممهد لبناء حداثة جديدة، مرجع سبق ذكره، ص.05.
- ¹ : محمد حمدان: نحو مدرسة متميزة للبحث الإعلامي والاتصالي: المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 42، جويلية /ديسمبر 2003، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، منوبة، تونس. ص.05.
- ²⁶ : الصادق رابح :: عرض كتاب علوم الاعلام والاتصال وإشكالية التكوين المهني في العالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص.03.
- ²⁷ : بدر الدين زواقة:: علوم الاعلام والاتصال بين النظرية الإسلامية ونظرية الحتمية القيمية، مرجع سبق ذكره.

- 28: الصادق رابح :: عرض كتاب علوم الإعلام والاتصال وإشكالية التكوين المهني في العالم العربي، مرجع سبق ذكره. ص.03.
- 29: خضر عبد الفتاح: أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص. 53
- 30 الصادق رابح: عرض كتاب علوم الإعلام والاتصال وإشكالية التكوين المهني في العالم العربي، مرجع سبق ذكره. ص.04
- 31: خضر عبد الفتاح: أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص. 47
- 32: المكان نفسه.
33. زهير احدان: مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال مرجع سبق ذكره، ص. 54
- 34: محمد شطاح : التدريس الإعلامي في المرحلة الجامعية في مؤسسات التعليم العالي بالجزائر، المجلة العربية للإعلام والاتصال، ع. 08، ماي 2012، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، الرياض، السعودية. ص.127.
- 35: المرجع نفسه، ص.135
- 36: المرجع نفسه.ص.137
- 37: المرجع نفسه: ص. 142
38. المرجع نفسه، ص.143.
- 39: المرجع نفسه. ص. 155.
- 40: بدر الدين زواقة: علوم الإعلام والاتصال بين النظرية الإسلامية ونظرية الحتمية القيمية مرجع سبق ذكره.
- 41: افتتاحية المجلة التونسية لعلوم الاتصال، ع. 12، جويلية-ديسمبر 1987، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس، ص.05.....
- 42: محمد حمدان: نحو مدرسة متميزة للبحث الإعلامي والاتصالي: المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 42، جويلية/ديسمبر 2003، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس.ص.05.
- 43: خضر عبد الفتاح: أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص. 29
- 44: المرجع نفسه، ص.18
- 45: يوسف بن رمضان: تاريخ علوم الإعلام والاتصال في الوطن العربي وفي إفريقيا شرط مهد لبناء حدثا جديدة، مرجع سبق ذكره، ص.ص.08-09
- 46: بدر الدين زواقة : علوم الإعلام والاتصال بين النظرية الإسلامية ونظرية الحتمية القيمية، مرجع سبق ذكره.
- 47: الصادق الحمامي: الميديا الجديدة : الاستمولوجيا والإشكاليات والسياقات، المنشورات الجامعية بمنوبة، ط.01، 2012، ص. 31
- 48: محمد حمدان: نحو مدرسة متميزة للبحث الاعلامي والاتصالي: المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 42، جويلية/ديسمبر 2003، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس، ص.06 .

مراجع الدراسة:

أ- الكتب:

- 1- احدان زهير: مدخل لعلوم الاعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002،
- 2- الحمامي الصادق: الميديا الجديدة : الاستمولوجيا والإشكاليات والسياقات، المنشورات الجامعية بمنوبة، الطبعة الاولى، 2012.
- 3- العبد الله مي: نظريات الاتصال، دار النهضة العربية، بيروت، ط.2010، 02،
- 4- بوعلي نصير وآخرون: قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الاعلام، مكتبة أقرأ، قسنطينة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.
- 5- خضر عبد الفتاح: أزمة البحث العلمي في العالم العربي مكتبة صلاح الحجيلان، الرياض، ط.1992، 03
- 6- ماتيلار أرمان، ماتيلار ميشال: تاريخ نظريات الاتصال، ثر. العياضي نصر الدين، رابح الصادق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط.2005، 03.
- 7- منير حجاب محمد: نظريات الاتصال، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط.2010، 01

- 8- عزى عبد الرحمن: دعوة إلى فهم علم الاجتماع الاعلامي، الدار المتوسطة للنشر، بيروت- تونس، الطبعة الاولى، 2010
- 9- عزى عبد الرحمن: منهجية الحتمية القيمية في الاعلام، الدار المتوسطة للنشر، بيروت- تونس، الطبعة الاولى، 2013.
- ب- المجلات**
- 10- الحيدري عبد الله : الافتتاحية، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 31، جانفي-جوان 1997، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس.
- 11- بن رمضان يوسف: تاريخ علوم الاعلام والاتصال في الوطن العربي وفي افريقيا شرط ممد لبناء حداثة جديدة، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 48/47 جويلية 2006-جوان 2007، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس.
- 12- حمدان محمد: نحو مدرسة متميزة للبحث الاعلامي والاتصالي: المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 42، جويلية /ديسمبر 2003، معهد الصحافة وعلوم الاخبار، منوبة، تونس.
- 13- شطاح محمد: التدريس الاعلامي في المرحلة الجامعية في مؤسسات التعليم العالي بالجزائر، المجلة العربية للإعلام والاتصال، العدد 08، ماي 2012، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، الرياض، السعودية.
- 14- عبد الرحمن عواطف: العرب... و فجوة العقل الاعلامي، مجلة العربي، العدد 566، جانفي 2006، متاح في: <http://www.alarabimag.com/Article.asp?Art=4312&ID=102>
- 15- رابح الصادق: عرض كتاب علوم الاعلام والاتصال واشكالية التكوين المهني في العالم العربي، دورية الشرق الاوسط، العدد 2010، 06، متاح في : <http://3awn.com/%>
- 16- زواقة بدر الدين :: علوم الاعلام والاتصال بين النظرية الاسلامية ونظرية الحتمية القيمية، متاح في : <http://diae.net/9443>